

فنانة لبنانية تحيل اللون الأسود إلى موقف من الحياة

النص الفني لفاطمة مرتضى يشمل الإنسان والوطن



جسرة اللفظ التشكيلي يشي بغضب دفين

والفنانة فاطمة مرتضى حاصلة على شهادة الماجستير في الفنون البصرية من جامعة ساوثامبتون في بريطانيا، وعلى دبلوم في الفنون التشكيلية ودبلوم فلسفة من الجامعة اللبنانية. وشاركت بلوحاتها في العديد من المعارض الفردية والجماعية في بيروت وعمّان وتونس وباريس ولندن.

اللبناني. ولا غرابة في ذلك فقد صرّحت أنها تنسى أحيانا أنها فنانة لشدة ما تعتبر ذاتها ناشطة سياسية في مجال الحريات وحقوق المرأة. بدت أعمالها الجديدة أكثر هدوءاً ولم تعد تميل إلى "خدش الحياء" عن سابق إصرار وتصميم، ربما لأن نصها الفني تخطاه باشواط فصار فكراً مُستقراً ومُعتمداً يواجه به العالم المحيط.

أما من ناحية الأسلوب، فقد شهد تطورا واضحا في أعمالها الجديدة، فمن ناحية بدت المرأة التي وضعتها الفنانة مُختزلة تغيب عنها التدرجات اللونية كما تغيب أنصاف الحلول. أعمالها الجديدة هي صفة ضد المجتمع بشكل عام. وليس فقط ضد المجتمع الذكوري الذي اتسعت حدوده ليطول نظام الفساد العام الذي يزرع تحت قلبه المجتمع

جراح وقيود تظهرها بفجاجة حسية كمن يُشهر ظلما لن ينال مراده، أو تشهرها بوضوح حارق تستغفر به نظرة الرجل إليها. وغالبا ما تكون ردة فعل الرجل الناظر إليها إما غضبا من جسارتها، وإما استمعا سريبا بإجساسها المفرط وبروضه الضمني إلى ما جرى على تسميته بـ"الجنس الضعيف".

هو في الحقيقة جنس ليس بضعيف ولم يكن يوما ضعيفا، بل يتفرد بالتباهي بما يعتبره الآخر ضعفا، والفرح بإعلان ما يستسيغه جسدا وروحا، والتصريح بما لا يعنيه أو لا يقيم له أهمية، وأيضا ما يفتخر به وما لا يرضيه فيقف في وجهه موقفا صارما لا لبس فيه.

الفنانة اللبنانية في تشكيلها للمرأة برأس حيوان، ترفعها إلى مقام الأسطورة دون أن تجعلها أيقونة مقدسة

هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فقد استبدلت الفنانة، ولأسيما في أعمالها الأخيرة رأس المرأة برأس حيوان غالبا ما تكون له قرون حادة. وهذا ما رأيناها أيضا في أعمالها المعروضة على المنصة الافتراضية.

دماء الحياة

للفنانة فلسفة خاصة حول ذلك، فهي تعتبر أن المرأة هي بصلة وثيقة مع الطبيعة بكل كائناتها ومن هنا تستمد قوتها الأساسية التي لا يستطيع أي رجل أن يقف ضدها إلى ما لا نهاية. وقوتها تستمد أحياتها من هذه الطبيعة التي لا أحد يستطيع أن يستمر دونها رفضا أو تطوعا.

وهي يجعلها المرأة برأس حيوان، ترفعها إلى مقام الأسطورة دون أن تجعلها أيقونة مقدسة. فمجرد صلتها القوية مع الطبيعة كقيلة بان تجعلها كائنا وكيانا لا يهزم.

هكذا أدخلت الفنانة المرأة مؤخرا عبر نصها الفني (كما في لوحاتها الجديدة) إلى عالم الواقعية المزوجة بالسحر. وظهرت بشرايتها الظاهرة من تحت جلدائها. شرايين تتفتح فيها أزهار وورود وعشاب ضارة وغير ضارة وتجري فيها دماء قرعقة هي الحياة ذاتها. تلك دماء متجددة لا تموت إلا بفناء الجسد.

تتأثر الفنانة اللبنانية فاطمة مرتضى على تطوير نصها الفني خلال السنتين الأخيرتين اللتين تميزتا بتغيرات كبيرة على الصعيد العالمي بشكل عام وعلى الصعيد اللبناني بشكل خاص. وكانت أعمالها التي نشرتها على صفحاتها الفيسبوكية دليلا هذا التبلور الفني الذي ساهم، من دون شك، في إرساء بعض من ملامحه انتشار وباء كوفيد - 19 والكوارث الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التي شهدها لبنان بقسوة غير مسبوقة.

هي مبدعة عرفت منذ بداية انطلاقها الفنية ماذا تريد؟ وكيف تفكر؟ ولا تتوانى على هامش ذلك عن استخدام الألفاظ البصرية/ الفنية الأكثر جسارة، ولقّل الأكثر "وقاحة".

البعض يعتبر فاطمة مرتضى فنانة "نسوية" غير أنها لا تستسيغ هذا التصنيف (وهي مُحقة)، لأنها ترى فيه تحجيما لما تريد التعبير عنه. وفي اعتقادها أن "الفنون النسوية" تجيء عادة كردة فعل عاطفية ضد الرجل بشكل عام وحضوره على أساس أنه عدو شامل وكامل يجب إما "التمثيل" به، أو محاربته كيف ما كان وبغض النظر عن أفعاله حتى تلك التي لا "تُعادن" حقوق المرأة.

دفاعها عن المرأة من خلال مجمل أعمالها الفنية (رسومات ولوحات وتجهيز فني) كان دائما محور انشغالها. منذ بداية مسيرتها الفنية وقفت ضد المجتمع الذكوري وما يُفرض على المرأة من حجر للحرية الشخصية وعدم اعتراف بحقوقها كإنسان، ولأسيما في مجتمعاتنا الشرقية التي لا تزال بالرغم من خفوت نبرة العداوة تجاه المرأة، مُحجفا في حقها.

قد يسأل البعض: ماذا قَدّمت فاطمة مرتضى من جديد؟ ألم يتناول الفن النسوي ومنذ أكثر من خمسين عاما شؤون المرأة، وأحيانا كثيرة يتطرق إليها بشراية لا تقل عن "شراية" الفنانة؟ قَدّمت الفنانة الجديد أولا من حيث المضمون، فالمرأة في القسم الأكبر من أعمالها غير حاضرة على أنها ضحية تعيش صراعات، وحين يحدث أن تحمل امرأة فاطمة مرتضى جراحها وقيودها متمثلة، أو محاطة، أو مشغولة بالخيوط التي نسجتها الفنانة إما لونها وإما فعليا باستخدامها لخيوط حقيقية، فهي تحملها غير مبالية بها وغير مُعنية، لا بل تحملها كلها بعد أن حولتها زينة تترنّن بها.

إنها امرأة سعيدة بانوثتها التي لا تتوقف عن اكتشافها في كل تجربة معيشية أو روحية، متباهية بغناها ولو كره الكارهون.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

تعرض الفنانة اللبنانية المتعددة الوسائط فاطمة مرتضى، حاليا، العديد من أعمالها الفنية الجديدة على منصة فنية افتراضية مفتوحة على العالم.

أعمال على الورق اشتغلت عليها الفنانة باحجام صغيرة سيطر عليها الأسود، ليس كلون بقدر ما هو موقف أكثر حدة مما قَدّمته من قبل تجاه كل ما وقتت ضده إلى الآن.

أنوثة سعيدة

عندما يُذكر اسم الفنانة تحضر حلالا إلى الذهن أعمالها الفنية الجريئة، ولأسيما تلك التي قَدّمتها في آخر معرض لها في صالة "مارك هاشم" اللبنانية. وعلى الرغم من كون هذه الأعمال عُرضت في معرضها الفردي الأول إلا أنها كانت على مستوى كبير من النضج الفني والفكري على حدّ السواء.



الأعمال الجديدة لمرضى

بدت صعبة في وجه المجتمع بشكل عام، لا فقط ضد المجتمع الذكوري التي اعتادت انتقادها

«تراتيل خافتة».. أوجاع اللاجئين كما تراها الفلسطينية دلال مقاري باوش

بقضايا إنسانية وإبداعية، وعبر جولات عديدة في الوطن العربي وتجارب ناجحة بدأت تتبلور فكرة إنشاء المعهد، وشمولية أهدافه التي تنحو باتجاه تنمية الفرد وإعداده من خلال الفنون.

وتسترسل "علما منذ إنشاء المعهد على تقديم العون والإرشاد والتأهيل إلى فئات متعددة شملت المشردين والمعنفين والإيتام والفنانين والمسرحيين المهاجرين، فضلا عن تقديم منح دراسية مجانية للمتفوقين في ورشاتنا، وإنشاء جمعيات برعاية المعهد في بعض الدول العربية لمتابعة العمل الميداني مع احتياجات كل مجتمع، والآن لدينا فروع وأعضاء وجمعيات في معظم الدول العربية وبعض الدول الأوروبية".

ودلال مقاري باوش فنانة تشكيلية وناقدة مسرحية وسينمائية، صاحبة ممارسات واهتمامات ثقافية متعدّدة تخصصت في نوع من العلاج يجمع بين الدراما وعلم النفس وهو "السيكودراما" و"الدراما ثيرابي"، بالإضافة إلى اهتمامها بالتنمية البشرية عن طريق الفنون من خلال إنشائها لمشروع ومبادرة علمية باسم "معهد دراما بلا حدود" بالمانيا.

وباوش تتفعل باستمرار ما بين العديد من الدول الأوروبية والعربية ناشرة لثقافة التعاون والتكافل، كما عملت متطوعة في أكثر من منظمة إنسانية كالليونيسف والأونروا وغيرها. وهي إلى جانب ذلك شاعرة لها مجموعة من الإصدارات من أهمها ديواني "صوت مسام" و"حدقة دمشقية".



«الكولاج العلاجي» يستند على العلوم الإنسانية والفنون على حد سواء، لإعادة إنتاج العلاقة بين الفرد ومحيطه



المعنفين والمهمشين واللاجئين والنازحين في العالم، ونفّض فيه رسام الكلمات، ونزّع عنق الحكايا، تقترب من الفعل والحركة والتغيير، في رسائل إنسانية تضمد جرح النأي، وترتّب مصابيح الليل بذكرة الأرض المحروثة دعما للاجئين والنازحين في العالم.

وتقول باوش "نسعى في معهد دراما بلا حدود الدولي إلى إطلاق العديد من المبادرات تماشيا مع الهدف الأسمى للمعرض، حيث سيتم تدريب طواقم إغاثة استثنائية من المتطوعين والأخصائيين، للعمل مع اللاجئين حول العالم، وتقديم الدعم والمساندة المادية والمعنوية للاجئين، وأيضا تقديم برامج التأهيل والحلقات التدريبية لهم لأجل مساعدتهم في تحقيق مستقبل أفضل".

وتضيف الفنانة، وهي أيضا مديرة ومؤسسة معهد دراما بلا حدود الدولي "سنقوم بهذه المناسبة بإطلاق مسابقة للأفلام القصيرة جدا تتناول موضوع اللاجئين والنازحين في العالم، حيث نسعى عبر برامجنا التي نقدمها في المعهد إلى إطلاق أصواتهم التي أنكلها الغياب والترحال وأمواج البحر المتوسط".

وحول فكرة إنشائها للمعهد، تقول "المعهد يندرج ضمن مشروع ومبادرة علمية للتنمية البشرية عن طريق الفنون، بدأ من فكرة عملت عليها منذ عام 2003 برعاية رابطة فاو ها إس الألمانية، وكانت تحمل مسمى ورشة المختبر المسرحي التي كانت تهدف إلى تأهيل الفرد عبر المسرح، ودفعه ليكون منفتحاً، إيجابياً، متفكراً، منشغلاً

ويضم المعرض لوحات متعددة المواضيع والاتجاهات، ولكنها تشترك جميعها في إضاءة مختلف أشكال العنف المجتمعي، ومحاولة التعبير عنها جماليا بملامسة الأم وأحزان من يتعرّضون إلى هذه الأشكال من التعنيف، حيث تأخذ هذه اللوحات على عاتقها تبني قضايا شرايح مجتمعية مختلفة، مع التركيز على المعنفين والمهمشين واللاجئين في مختلف أنحاء العالم.

وحول معرضها الفردي الخامس "تراتيل خافتة" تقول باوش "أردناه معرضا يثور على الصمت، ويتبنى قضايا



حكايات مبعثرة عن الألم والأمل

تحت شعار "معنا من أجل مستقبل أفضل" أطلق معهد دراما بلا حدود الدولي بالمانيا في الثامن من مارس الجاري، معرضا بعنوان "تراتيل خافتة" للباحثة والفنانة الفلسطينية دلال مقاري باوش، وهو خامس معرض فردي للفنانة التي تسعى من خلاله إلى إمامة اللثام عن مختلف أشكال العنف المجتمعي بحسب جمالي وعلاجي في الآن ذاته.

برلين - عبر الفضاء الرقمي الافتراضي، وفي منصات يوتيوب وإنستغرام وفيسبوك، أطلق معهد دراما بلا حدود الدولي في مقاطعة بافاريا بالمانيا، بمناسبة اليوم العالمي للمرأة، معرض "تراتيل خافتة" للفنانة الفلسطينية دلال مقاري باوش، تضمّن 54 لوحة منمنمة بتقنية في الكولاج، أو بعبارة أدق منهج "الكولاج ثيرابي" (الكولاج العلاجي) الذي وضعت مبادئه باوش، وتشتغل على تطويره تنظيرا وممارسة.

وهو فن يتقصد المزج بين علم النفس وأدواته وفن الكولاج، في محاولة من الفنانة الفلسطينية لتأسيس نمط فني جديد، يكون الفن عندها أكثر قدرة على التعبير عن أزمات المجتمعات الحديثة، وموقع الفرد فيها ومنها.

ومن هناك يكون "الكولاج العلاجي" وسيلة تساهم في تعديل سلوك الفرد، وإعادة تأهيله نفسيا بشكل أو بآخر، في مسعى واضح لربط الفن، والكولاج تحديدا، بعلم النفس ودوره في حياة الإنسان.

وتسعى الفنانة والباحثة الفلسطينية عبر هذا الأسلوب الذي أنجزت به لوحاتها، إلى توفير نوع من المساعدة لطالبي العلاج، ترتبط بتوفير مساحة فنية/ علاجية جديدة تماما، تتيح لهم التعبير عن معاناتهم من جهة، والانطلاق